منطق الوصل والفصل

بقلم الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبدو

إنَّ لفظَ (الوَصـلِ) استخدَمَهُ أهلُ الْمَنطقِ العلويِّ لِمَعرفةِ صِلَةِ التَّجلِّي، فالقول: (إنَّ الْمَاهيَّاتِ مُتَّصـلةٌ)، إنَّما يدلُّ على مكانتِها ورفعةِ مقامِها، لا كما فَسَّرَ الحلوليُّون بأنَّ عدمَ الفصلِ حلولٌ، وأنَّ وَصلَها بالجوهرِ يعني الاتِّحادَ، فاستحقُّوا وصفَ سيِّدنا الْمَسيح (ع) لهم بقوله: (الحَقَّ أقولُ لَكُم: إنَّ هؤلاء يَشـهَدُون بمَا لَم يَرَوا ولم يَسـمَعُوا قَطُّ، ويَقضـُونَ دونَ أن يُنَصَّبُوا قُضـَاةً، وإنَّهم لذلكَ مَكروهُونَ على الأرضِ أمامَ عَينَي اللهِ الذي سَيُدينُهم دَينونَةً رَهيبةً في اليومِ الآخِرِ).

والجوهرُ لا يُوصَفُ بوَصلٍ ولا فَصلٍ، ومَن طلبَ معرفةَ كنهِ الرَّبِّ بالْمَاهيَّةِ فهو تائهٌ لأنَّ الرَّبَّ فوقَ الْمَـاهيـَّةِ، بـدليـل قول الفيلســـوف الأعظم أفلاطون: (الباري ليسَ بمَاهيَّةٍ، بل هو أسمَى من الْمَاهيَّةِ، وليسَ بصفةٍ لأنَّهُ سابقٌ لكلِّ الصِّفاتِ)، فإدراكُ جوهرِ الرَّبِّ أمرٌ مُحالٌ، لأنَّ العقولَ لا تدركُ جوهرَ الرَّبِّ.

وعليهِ فإنَّ الْمَاهيَّةَ من العقلِ كالأبدِ من الأبديِّ والأزلِ من الأزليِّ والسَّرمَدِ من السَّرمديِّ، لأنَّه من غيرِ الْمَنطقيِّ أن يكونَ الجوهرُ والْمَاهيَّةُ شيئًا واحدًا، وأن يكونَ الجوهرُ من الْمَاهيَّةِ والْمَاهيَّةُ منهُ، فالجوهرُ غيرُ الْمَاهيَّةِ والْمَاهيَّةُ غيرُهُ، ولا شـــيءَ مشـــتركٌ بينَ الجوهرِ والْمَاهيَّةِ على الإطلاقِ، بدليل قولِ الإمـام علي (م): (لا يُقـالُ له: أينَ؟ لأنَّهُ أيَّنَ الأينيَّةَ، ولا يقالُ له: كيفَ؟ لأنَّهُ كيَّفَ الكيفيَّةَ، ولا يقالُ: ما هو؟ لأنَّه خلقَ الْمَاهيَّةَ).

كما لا يمكنُ أن يندرجَ الجوهرُ في جنسِ الْمَاهيَّاتِ لأنَّه لا ماهيَّةَ له، وبما أنَّ الرَّبَّ هو الْمُوجِدُ للأجنـاسِ فَمِنَ الْمُؤكَّدِ أن يكونَ جوهرًا قائمًا بذاتِهِ لا جنسَ له ولا ماهيَّةَ، فليسَ لجوهرِ الرَّبِّ هيئةٌ ولا كيفيَّةٌ ولا فصلٌ ولا حدٌّ، لأنَّه ليسَ من ماهيَّةِ أهلِ الحسِّ ولا من ماهيَّةِ أهلِ العقلِ.

لذلك كانت الغايةُ إثباتَ التَّجلِّي، حيث وردَ في سـفرِ النَّبيِّ العظيمِ إشـعياء (ع) قولُ الرَّبِّ: (اُطْلُبْ لِنَفْسِـكَ آيَةً مِنَ الرَّبِّ إلهِكَ... أَنَا الرَّبُّ هذَا اسْـمِي، وَمَجْدِي لاَ أُعْطِيهِ لآخَرَ، وَلاَ تَسْـبِيحِي لِلْمَنْحُوتَاتِ... أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لاَ إِلهَ ســـوَايَ. نَطَّقْتُكَ وَأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْنِي... إِنَّ الْجِبَالَ تَزُولُ، وَالآكَامَ تَتَزَعْزَعُ، أَمَّا إِحْسَانِي فَلاَ يَزُولُ عَنْكِ، وَعَهْدُ سَلاَمِي لاَ يَتَزَعْزَعُ). ومَن زعمَ أنَّ هناكَ غايةً غيرُ

التَّجلِّي كـانَ من أهـلِ الإنكارِ والتَّعطيلِ، بدليلِ ما وردَ في مزاميرِ سـيِّدنا النَّبيِّ العظيمِ داؤود (ع): (قُلْتَ: "اطْلُبُوا وَجْهِي". وَجْهَكَ يَا رَبُّ أَطْلُبُ. لاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنِّي).

الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبدو